

نفائس العتبة العباسية المقدسة

المصحف الشريف المنسوب لأبي الحسن علي بن هلال البغدادي

المعروف بابن البواب المتوفى سنة ٤١٣هـ

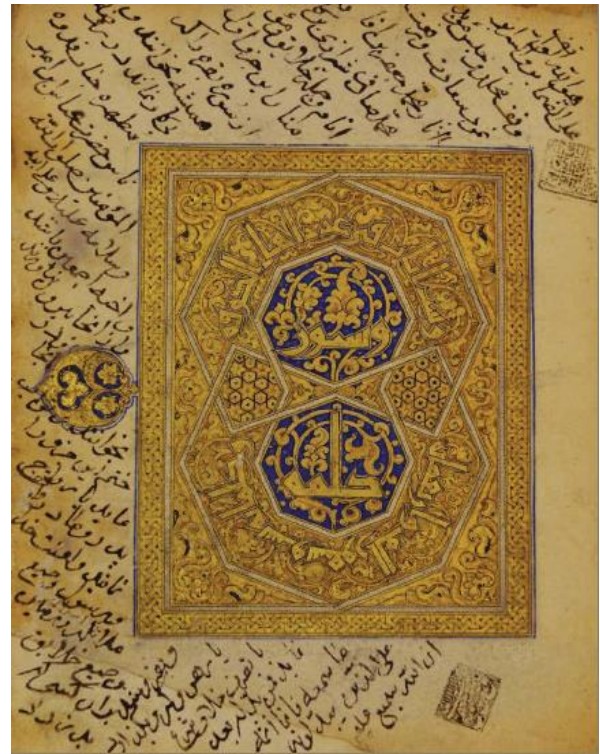
بحث وتحقيق: علي الصفار الكريلائي



الصفحتان الثانية والثالثة من المصحف الشريف – سورة الفاتحة



الصفحة الأخيرة (صفحة رقم ١٠٦) من المصحف الشريف وهي متضررة



الصفحة الأولى من المصحف الشريف على جوانبها نص الوقفية

تضم خزانة العتبة العباسية المقدسة أكثر من خمسة آلاف مخطوط وعلوم شتى وبما فيها المخطوطات المصحفية الشريفة ومنها جزءٌ كامل وهو الجزء الأول من المصحف الشريف منسوبٌ الى ابن البواب.

ولغرض معرفة أهمية هذا المخطوط، لابد لنا أن نسلط الضوء أولاً على كاتبه وهو: أبو الحسن علي بن هلال بن عبد العزيز المعروف بابن البواب الخطاط البغدادي مولداً ونشأة.

ورجح الاستاذ هلال ناجي في كتابه (ابن البواب عبقرى الخط): مولده حدود سنة ٣٥٠ هـ

ويقول د. المسفر في كتابه (المخطوط العربي وشيء من قضائاه) ص ٥٨: قرأ ابن البواب القرآن وأتقنه، وتلقن علوم العربية على يد شيخه ابن جني، كما تتلمذ على يد محمد بن أسد بن سعيد الكاتب تلميذ ابن مقلة، بعد أن أتقن قاعدته في الخط.

قال أبو العلاء المعري يمدح خط ابن البواب:

ولاحَ هلالٌ من فنونٍ أجادها بماءِ النُّصارِ الكاتبُ ابنُ هلالٍ

ويقول محمد طاهر الكردي في كتابه (تاريخ الخط العربي وآدابه) ص ٣٣٤: لم يُوجد في المتقدمين ولا في المتأخرين من كتب مثله وقاربه.

ويقول د. الأستاذ سهيل أنور في كتابه الخطاط البغدادي علي بن هلال نقلاً عن ميزان الخط على وضع أستاذ السلف: هو الذي أكمل الخط وأتمه، واخترع الكتابة بأفضل أسلوب مقبول استناداً إلى خط ابن مقلة.

ويقول الدمياطي في المستفاد من ذيل تأريخ بغداد ص ١٥٣: وإليه انتهت الرئاسة في حسن الخط وجودة الكتابة.

وذكر الصفدي في الوافي بالوفيات ج ٢٢ ص ١٧٩: صاحبُ الخط الفائق الذي لم يُرزق أحد في الكتابة سعادته بإجماع الناس.

وقال الذهبي في سيرة أعلام النبلاء ج ١٧ ص ٣١٥: وكان في أول أمره مزوّقاً يصور الدور فيما قيل، ثم أذهب الكتب، ثم تعانى الكتابة، ففاق الأولين والآخرين فيها .

ونُقل في كتاب فن الخط ص ١٧٨: عن معجم المؤلفين وكذا الأعلام للزركلي، وجامع محاسن كتابة الكتاب للطبيبي، ووفيات الأعيان ومفتاح السعادة في ابن البواب ما نصه: وكان يعمل في بداية أمره بنقش الدور وتزويقها، ثم لم يلبث أن تعلم الخط في مسقط رأسه بغداد على يد محمد بن أسد، ومحمد بن السمساني. وقد قام بتدقيق خطوط ابن مقلة، فهذب طريقته ونقحها. وقد كان ابنُ البواب حافظاً للقرآن فقيهاً وشاعراً وأديباً، عمل مدة على رأس المكتبة التي أنشأها بهاء الدولة البويهى في شيراز ثم توفي عام ٤١٣ هـ - ١٠٢٢ م في بغداد، ويُقال: إن قبره كان إلى جانب قبر أحمد بن حنبل.

وقد اُخْتُلِفَ في تاريخ وفاته بين السنوات (٤١٠، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤٢٣) للهجرة والراجح هو (٤١٣ هـ).

شجرة الخط التي تربط بينه وبين ابن مقلة:

من خلال دراسة حياة ابن البواب وأساتذته، نجده تتلمذ على يدي علمين بارزين من أعلام الكتابة من تلامذة ابن مقلة وهما:

١. **محمد بن أسد بن علي بن سعيد البزاز الكاتب المقرئ البغدادي ت ٤١٠ هـ** الذي من أشهر آثاره الباقية بخط يده كتاب الأمالي للشيخ ابن بابويه القمي والنسخة بالخط الوراقى (النسخي أو العراقي) محفوظة في مكتبة السليمانية في تركيا.

٢. **محمد بن السمسمني البغدادي ت ٤١٥هـ:** وقد اختلطت الترجمات بسبب وجود شخصيات متعددة تحمل هذا اللقب، ويحتمل أنه أبو حسين محمد بن علي السمسمني المذكور في (بغية الوعاة) ص ٨٣.

وعلى العموم، فإن ابن البواب علم من أعلام القرنين الرابع والخامس الهجري. وكان متديناً حافظاً للقرآن فاضلاً عمل على رأس مكتبة بهاء الدولة البويهية، وفيها عثر على المصحف بخط ابن مقلة ناقصاً جزءاً، فأتمه بطريقة (ابن مقلة)، ولم يميزه أحد، وهذا دليل فنه وإبداعه وملكته وقدرته على مجاراة ابن مقلة). وكان أديباً وشاعراً له نثر وشعر منه المنظومة المستطابة في علم الكتابة، شرحها ابن البصيص وابن الوحيد وحققها الأستاذ هلال ناجي ونشرها في مجلة المورد مجلد (١٥) عدد (٤) سنة ١٩٨٦ أولها:

يامن يريد إجادة التحرير ويروم حسن الخط والتصوير

وآخرها :

فجميع فعل المرء يلقاه غداً عند التقاء كتابه المنشور

وكان ابن البواب منقطعاً إلى الشريف الرضي ملازماً له كما في ذيل تاريخ بغداد ج ٤ ص ١٨٨ . وعندما توفي رثاه الشريف المرتضى بقصيدة ذكرها ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد والذهبي في سير اعلام النبلاء منها:

رديت يا ابن هلال والردى عرض لم يحم منه على سخط له البشر
ما ضرّ فقدك والأيام شاهدة بأن فضلك فيها الأنجم الزهر
ومالنا بعد أن أضحت مطالعنا مسلوقة منك أوضاع ولا غرر

من آثاره المخطوطة في العالم:

كتب ابن البواب ٦٤ مصحفاً غير الكتب الأخرى، ومن أشهر آثاره الموجودة حالياً والمنشور عنها :

١. نسخة من المصحف الشريف محفوظة في مكتبة (جستر بتي) بمدينة دبلن الإيرلندية وهي بخط النسخ ورؤوس الآيات بخط الثلث.
٢. نسختان من المصحف الشريف في إيران إعتماًداً على المنشور المصور الصادر من مركز دائرة المعارف الإيرانية، أحدها بخط النسخ وعناوين السور مذهباً بخط الثلث، والثانية بخط النسخ.
٣. ديوان سلامة بن جندل والنسخة بخط الريحان والثلث، والتوقيع محفوظة في سراي (طوب قابي) في اسطنبول.
٤. رسالة الواثق محفوظة في دار المخطوطات بمدينة بغداد. وهناك آثار لم يعلن عنها هنا وهناك منها في مكتبة القاهرة والاسكندرية وغيرها إضافة إلى المصحف مدار البحث.

المصحف الشريف مدار البحث:

وهو تمام الجزء الأول من القرآن الكريم، يبدأ بسورة الفاتحة وينتهي بالآية ١٤١ من سورة البقرة، وهذا بحساب الأجزاء ثلاثين جزءاً، وهو تمام جزئين بحساب الستين. وقد عمل الكاتب بهما معاً - حساب الأجزاء (٣٠، ٦٠) وهذا متعارف عند القراء - مضيفاً إليهما تقسيم المصحف إلى (١٥٠) جزءاً أي أن ما بين أيدينا بحساب (٣٠، ٦٠، ١٥٠)، مما يدل على أن الكاتب متبحر في علوم القرآن وأجزائه وحسابها وتقسيماتها.

وقفية هذا المصحف:

وقف لحضرة العباس ابن أمير المؤمنين كما مثبت على الصفحة الأولى باللغة الفارسية، وكاتب الوقفية مجهول اسمه حيث كتب (أنا ومحمد جعفر بن أقا محمد شيرازي). وهنالك ختم في بداية الوقفية لكاتبها، متضرر لم نقرأ منه إلا محمد بن علي وختم في نهايتها باسم محمد جعفر.

نسبة هذا المصحف لابن البواب:

لم نجد توقيع ابن البواب على هذا المصحف الشريف ولعل أحد الأسباب هو الضرر الذي لحق بالصفحة المذهبة الأخيرة؛ ولكن الجرودات القديمة التي وجدناها وخصوصاً جرودات دائرة الآثار والتراث، نسبت هذا المصحف لابن البواب، وهذا إما من خلال دراسة هذا المخطوط، أو وجود ما يثبت ذلك خطياً مما لم يصل إلينا.. وعلى هذا قمنا بالإستعانة برأي الخبراء والمختصين؛ ومن خلال المقارنات مع الخطوط والآثار المنشورة لابن البواب والنقد والتحليل ودراسة النقوش والزخارف والرسوم وطريقة التذهيب وأسلوب الكتابة ونفس الخط، ونوع القلم، واكتشاف أوجه الشبه الكبير في الخط والتقنية التنفيذية، مما رجح أن هذا المصحف بخط ابن البواب، مما لا يمكن نسبته لغيره وحسب الأدلة المقارنة التي لا مجال لذكر تفاصيلها هنا.

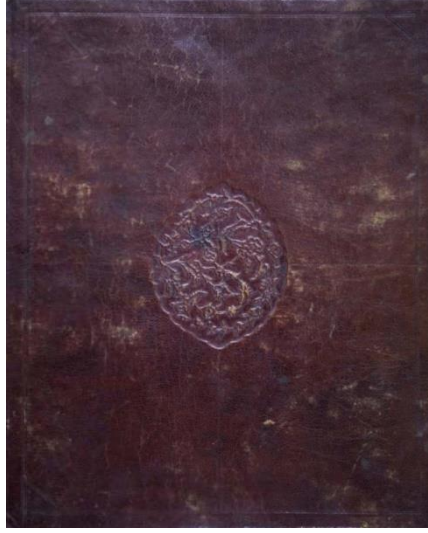
ونقول أن هذا المصحف إن لم يكن بخط ابن البواب فهو قطعاً لا يخرج عن أسلوب مدرسته خطأ وزخرفةً وتذهيباً وتزويقاً.

أما ما ذكر في كتاب فهرست مكتبة العتبة العباسية المقدسة (ج ١ ص ١٨) إن (النسخة إيرانية من النصف الثاني من القرن السابع أو النصف الأول من القرن الثامن). فالدليل المعتمد عليه في ذلك غير ناهض، والمقارنة مع المصحف الشريف الموجود في مجموعة د. ناصر خليلي والمنشور في كرهاي استداناه (ج ٢ ص ٤٦-٤٩) مقارنة غير تامة لا يمكن اعتمادها بسبب اختلاف قياس الصفحات واختلاف نوع الأطر المجدولة وأسلوبها والتباين الظاهر في ألوان النقوش والزخارف وخصوصاً الجانبية منها وطريقة استخدام الضمائم بالخط الكوفي، وعدم التطابق في شكل فواصل الآيات وعلامات التعشير وغيرها من الفوارق، بالرغم من نحو الكاتب في خط الثلث وتذهيبه نحو ابن البواب؛ إلا أننا نجد اختلافاً في ذلك، ولعل الشبهة جاءت من المقارنة الأولية لخط الثلث ليس إلا.. وعليه فإن المصحف مدار البحث وحسب دراستنا وتحقيقنا له، وكذا رأي كثير من أهل الصنعة لا يمكن نسبته لغير ابن البواب أو على الأقل لمدرسته التي بقيت محل اقتداء من قبل الخطاطين لقرون والله العالم.

خصائص وصفات هذا المصحف:

أولاً : الغلاف:

مصنوع من الجلد لونه أحمر داكن يشوبه سواد محدد بإطارين هما عبارة عن خطوط مستقيمة. أما الجامعة الوسطية فهي على شكل عين رسمت طولياً، محشوة بنقوش نباتية بارزة غير ملونة وغلف الجلد بقماش أخضر للحفاظ عليه.



ثانياً : عدد الصفحات ونوع الورق:

عدد صفحاته (١٠٦) ابتداء من صفحة الإستهلال المذهبة وانتهاء بالصفحة المذهبة في الخاتمة وهنالك ثماني صفحات فارغة (٤) منها قبل صفحة الإستهلال و (٤) بعد الصفحة المذهبة الأخيرة أما الورق المستخدم في كتابته فهو من النوع الممتاز أبيض مائل للصفرة مصقول ونقي وما زال يحتفظ بطراوته رغم قدمه وقياس الصفحات (٢١,٧٥x١٦,٤) سم .

علماً أن الصفحة الأولى من الصفحتين الاستهلالتين في بداية المخطوط مفقودة وكذلك الصفحة الأخيرة من الصفحتين المذهبتين المتقابلتين مفقودة أيضاً مع تضرر الصفحة المتبقية .

ثالثاً : الخط :

الآيات بخط الثلث كتبت بالذهب وحددت بالحبر الأسود. ويرى د. أغور درمان حسب تعليقه في فن الخط ص ١٧٨ على مصحف ابن البواب المحفوظ في (جستر بتي). إن هذا النوع من الخط هو التوقيع، والحق إنه الثلث كما أثبتنا ذلك مفصلاً. أما . ضمائم هذا المصحف فقد كتبت بالخط الكوفي.

رابعاً : نظام التسطير:

نظام التسطير في هذا المصحف عالي المستوى، والكتابة تكافئ الفراغ تقريباً ، وعدد السطور في الصفحتين المتقابلتين (٢، ٣) سورة الحمد بواقع أربعة أسطر. أما باقي الصفحات فهي بواقع خمسة أسطر، عدا الصفحة رقم (٩١) فهي بواقع ستة أسطر.

خامساً : الزخارف والأطر:

يمتاز هذا المصحف بالتذهيب بالدرجة الأساس واستخدام الألوان الأسود الأبيض، اللازورد) في الزخارف والنقوش والرسوم والأطر المصفورة، وبطريقة فنية عالية المستوى تدل على احتراف في الصنعة، ومهارة في العمل، وخفة في اليد؛ ويظهر هذا في صفحة الإستهلال والإطار المذهب المصفور بسمك ٦ ملم والمحدد

بالحبر الأسود، فيما ملئت فراغاته الدقيقة بين الذهب باللازورد (الأزرق)، محاطاً بمجموعة من الأطر من الجانبين، مع وجود ضفيرة بيضاء دقيقة مسورة بالأسود، وداخل هذه الأطر شكلان مثنان متداخلان مذهبان محشوان بالأشكال الهندسية والرسوم النباتية، والكلمات داخلها بالخط الكوفي. أما الصفحة الأخيرة فلا تقل عن الأولى فناً وزخرفة وتذهيباً وخطاً، وقد أضاف الفنان من خلال رسمها وتزييقها بطريقة أخرى، وباختيار أشكال مغايرة إبداعاً وجمالاً إلى المخطوط. أما الصفحتان (٢، ٣) التي تضم سورة الحمد محددة بإطار مضاف، والصفحتان (١٠٤ - ١٠٥) ما قبل الأخيرة محددة أيضاً بأطر زخرفية تختلف عن السابقتين أما باقي الصفحات فهي غير مؤطرة.

سادساً : فواصل الآيات:

استخدم الكاتب في هذا المخطوط أربعة أشكال لفواصل الآيات:



١. وردة مذهبة محددة، وسطها نقطة زرقاء، وخطوطها مستقيمة سوداء، تحيطها ذؤابات، مذهبة وهي ذات الاستخدام الأكثر في هذا المصحف.



٢. وردة مذهبة كالسابقة، عدا أن الخطوط لداخلها المقسمة رسمت بانحناء.



٣. شكل كمثري مذهب محاط بخط أزرق محشو برسوم وهي فاصلة استخدمت كل خمس آيات إشارة إلى التخميس.



٤. دائرة مذهبة محددة بالأسود يحيطها إطار مذهب محدد بالأزرق، وفي الوسط حرف أو أكثر استخدمها كل عشر آيات والحروف بحساب الجمل تدل على رقم الآية.



سابعاً : علامات التخميس:

دائرة زرقاء محاطة بدائرتين مذهبيتين حول الأخيرة ذؤابات ذهبية وزرقاء، وفي الأعلى وردة أقرب للشكل المعيني ووسط الدائرة الزرقاء كلمة خمس بالخط الكوفي.

ثامناً : علامات التعشير:

دائرة مذهبة وسطها رقم كتابة، يشير إلى عدد الآيات وتحيط هذه الدائرة حلقتان مذهبتان خارجية أسمك من الداخلية، والكل محاط بدائرة شعاعية لتظهر كأنها الشمس.



تاسعاً : علامات الأجزاء:

استخدم اربع علامات للأجزاء حسب التقسيم المبني على ال (١٥٠)، وهي أشكال مستطيلة يعلوها مثلث قاعدته للأعلى، وهذه الأشكال مذهبة ومزوقة زادهاء روعة وجمالاً اختلاف زخارفها ورسومها، وفي داخلها كتابة بالخط الكوفي تشير إلى الجزء المعني، كما واستخدم شكلاً مستطيلاً مذهباً ومزوقاً للإشارة إلى انتهاء الجزء الأول بحساب تقسيم المصحف إلى ستين جزءاً .



عاشراً : علامات الميزان:

وكانت قبل ابن البواب توضع على حرف الراء فقط، كما في مخطوط مهلهل بن أحمد ٣٧٤هـ المحفوظ في مكتبة (كوبرلي – اسطنبول) رقم (١٥٠٨)، ثم وضعت على حرفي الراء والسين.

كما في آثار ابن البواب وغيره. وهنا استخدمت على حروف الراء والسين والصاد كما في مصحف ابن البواب في (جستر بتي) واستفدنا من هذا في المقارنة.

الخلاصة: هذا المصحف يعني الكثير من خلال فنه وزخرفته وتذهيبه وخطوطه، وتقسيم الأجزاء بنظام الثلاثين والستين وهي مما متعارف عليه أضف إلى هذا التقسيم حسب (١٥٠) جزءاً وهو تقسيم اعتمده بعض أهل البصرة وشاع استخدامه في بعض الأمصار.

ويضم هذا المصحف بين دفتيه رسماً ونقطةً وضبطاً وتجزئةً الكثير من النكات العلمية واللالئ المخفية فضلاً عن خطه وزخرفته وتذهيبه.

ومن أراد التفصيل عليه الرجوع الى كتابنا: المصحف الشريف المنسوب الى علي بن هلال البغدادي المعروف بابن البواب نظرة متكاملة في هويته ونسبته وخطه وزخرفته ورسومه وقراءته.

